

## تفسير البحر المحيط

@ 513 ° لَعَلَّكُمْ ° تَذَكَّرُونَ \* وَأَوْفُوا ° بِعَهْدِ اللَّهِ إِذْ آعَاهَدْتُمْ ° وَلَا تَنْقُضُوا ° الْإِيمَانَ ° بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ° وَقَدْ جَعَلْتُمْ ° اللَّهُ ° عَلَیْكُمْ ° كَفِيلًا ° إِنَّ ° اللَّهَ ° يَعْلَمُ ° مَا ° تَفْعَلُونَ \* ° وَلَا ° تَكُونُوا ° كَالَّذِينَ ° نَقَضَتْ ° غَزْلَهُمَا ° مِنْ ° بَعْدِ ° قُوَّةٍ ° أَنْ ° نَكَاثًا ° تَتَّخِذُونَ ° أَيْمَانَكُمْ ° دَخَلًا ° بَيْنَكُمْ ° أَنْ ° تَكُونُوا ° أُمَّةٌ ° هِيَ ° أَرْبَى ° مِنْ ° أُمَّةٍ ° إِنْ ° مَا ° يَدُلُّكُمْ ° اللَّهُ ° بِهِ ° وَلَیُّدِیِّنُنَّ ° لَكُمْ ° یَوْمَ ° الْقِيَامَةِ ° مَا ° كُنْتُمْ ° فِيهِ ° تَخْتَلِفُونَ ° إِنْ ° یَأْمُرُ ° بِالْعَدْلِ ° وَالْإِحْسَانِ ° وَإِیتَاءِ ° ذِي ° الْقُرْبَى ° وَیَنْهَى ° عَنِ ° الْفَحْشَاءِ ° وَالْمُنْكَرِ ° وَالْبَغْيِ ° یُعْطِكُمْ ° لَعَلَّكُمْ ° تَذَكَّرُونَ ° وَأَوْفُوا ° بِعَهْدِ ° إِنْ ° إِذَا ° عَاهَدْتُمْ ° وَلَا ° تَنْقُضُوا ° الْإِيمَانَ ° بَعْدَ ° تَوْكِیدِهَا ° وَقَدْ ° جَعَلْتُمْ ° عَلَیْكُمْ ° كَفِيلًا ° إِنْ ° یَعْلَمُ ° مَا ° تَفْعَلُونَ ° وَلَا ° تَكُونُوا ° كَالَّذِينَ ° نَقَضَتْ ° غَزْلَهُمَا ° مِنْ ° بَعْدِ ° قُوَّةٍ ° أَنْ ° تَكُونُوا ° أُمَّةٌ ° هِيَ ° أَرْبَى ° مِنْ ° أُمَّةٍ ° إِنَّمَا ° یَبْلُوكُمْ ° بِه ° وَلِیَبینَ ° لَكُمْ ° یَوْمَ ° الْقِیَامَةِ ° مَا ° كُنْتُمْ ° فِيهِ ° تَخْتَلِفُونَ ° { : ° عَنِ ° ابْنِ ° عَبَّاسٍ ° فِي ° حَدِيثٍ ° فِيهِ ° طَوْلٌ ° مِنْهُ : ° إِنْ ° عَثْمَانُ ° بِنُ ° مَطْعُونٍ ° كَانَ ° جَلِيسَ ° النَّبِيِّ ° صَلَّى ° عَلَيْهِ ° وَسَلَّمَ ) ° وَقَتًا ° فَقَالَ ° لَهُ : ° عَثْمَانُ ° مَا ° رَأَيْتَكَ ° تَفْعَلُ ° فَعَلْتِكَ ° الْغَدَاةَ ° ؟ ° قَالَ : ° ( ° وَمَا ° رَأَيْتَنِي ° فَعَلْتُ ° ؟ ) ° قَالَ : ° شَخْصٌ ° بَصْرَكَ ° إِلَى ° السَّمَاءِ ° ثُمَّ ° وَضَعْتَهُ ° عَلَى ° يَمِينِكَ ° فَتَحَرَّفْتُ ° عَنِي ° إِلَيْهِ ° وَتَرَكْتَنِي ° ، ° فَأَخَذْتَ ° تَنْغِصَ ° رَأْسِكَ ° كَأَنَّكَ ° تَسْتَفْقَهُ ° شَيْئًا ° یُقَالُ ° لَكَ ° قَالَ : ° ( ° أَوْ ° فَطَنْتَ ° لَدُنْكَ ° ؟ ° أَتَانِي ° رَسُولُ ° إِنْ ° أَنْفَاءً ° وَأَنْتَ ° جَالِسٌ ) ° قَالَ : ° فَمَاذَا ° قَالَ ° لَكَ : ° قَالَ ° لِي : ° { \* } : ° عَنِ ° ابْنِ ° عَبَّاسٍ ° فِي ° حَدِيثٍ ° فِيهِ ° طَوْلٌ ° مِنْهُ : ° إِنْ ° عَثْمَانُ ° بِنُ ° مَطْعُونٍ ° كَانَ ° جَلِيسَ ° النَّبِيِّ ° صَلَّى ° عَلَيْهِ ° وَسَلَّمَ ) ° وَقَتًا ° فَقَالَ ° لَهُ : ° عَثْمَانُ ° مَا ° رَأَيْتَكَ ° تَفْعَلُ ° فَعَلْتِكَ ° الْغَدَاةَ ° ؟ ° قَالَ : ° ( ° وَمَا ° رَأَيْتَنِي ° فَعَلْتُ ° ؟ ) ° قَالَ : ° شَخْصٌ ° بَصْرَكَ ° إِلَى ° السَّمَاءِ ° ثُمَّ ° وَضَعْتَهُ ° عَلَى ° يَمِينِكَ ° فَتَحَرَّفْتُ ° عَنِي ° إِلَيْهِ ° وَتَرَكْتَنِي ° ، ° فَأَخَذْتَ ° تَنْغِصَ ° رَأْسِكَ ° كَأَنَّكَ ° تَسْتَفْقَهُ ° شَيْئًا ° یُقَالُ ° لَكَ ° قَالَ : ° ( ° أَوْ ° فَطَنْتَ ° لَدُنْكَ ° ؟ ° أَتَانِي ° رَسُولُ ° إِنْ ° أَنْفَاءً ° وَأَنْتَ ° جَالِسٌ ) ° قَالَ : ° فَمَاذَا ° قَالَ ° لَكَ : ° قَالَ ° لِي : ° { ° إِنَّ ° اللَّهَ ° یَأْمُرُ ° بِالْعَدْلِ ° } ° الْآیَةُ ° . ° قَالَ ° عَثْمَانُ : ° فَذَلِكَ ° حِينَ ° اسْتَقَرَّ ° الْإِيمَانُ ° فِي ° قَلْبِي ° ، ° فَأَحْبَبْتُ ° مُحَمَّدًا ° صَلَّى ° عَلَيْهِ ° وَسَلَّمَ ) ° لَمَّا ° ذَكَرَ ° إِنْ ° تَعَالَى ° . ° وَنَزَلْنَا ° عَلَیْكَ ° الْكِتَابَ ° تَبْیَانًا ° لِكُلِّ ° شَيْءٍ ° ، ° وَصَلَّ بِه ° مَا ° یُقْتَضَى ° التَّكْلِيفُ ° فَرَضًا ° وَنَفْلًا ° وَأَخْلَاقًا ° وَأَدَابًا ° . ° وَالْعَدْلُ ° فَعَلَ كُلَّ ° مَفْرُوضٍ ° مِنْ ° عَقَائِدِ ° ، ° وَشَرَائِعِ ° ، ° وَسَیْرٍ ° مَعَ ° النَّاسِ ° فِي ° آدَاءِ ° الْأَمَانَاتِ ° ، ° وَتَرْكِ ° الظُّلْمِ ° وَالْإِنصَافِ ° ، ° وَإِعْطَاءِ ° الْحَقِّ ° وَالْإِحْسَانِ ° فَعَلَ كُلَّ ° مَنْدُوبٍ ° إِلَيْهِ ° قَالَهُ ° ابْنُ ° عَطِيَّةٍ ° . ° وَقَالَ ° الزَّمَخْشَرِيُّ : ° الْعَدْلُ ° هُوَ ° الْوَاجِبُ ° ، ° لِأَنَّ ° إِنْ ° عَزَّ وَجَلَّ ° عَدَلَ ° فِيهِ ° عَلَى ° عِبَادِهِ ° ، ° فَجَعَلَ ° مَا ° فَرَضَهُ ° عَلَیْهِمْ ° وَاقِعًا ° تَحْتَ ° طَاقَتِهِمْ ° . ° وَالْإِحْسَانُ ° النَّدْبُ ° ، ° وَإِنَّمَا ° عُلِقَ ° أَمْرُهُ ° بِهِمْ ° جَمِيعًا ° ، ° لِأَنَّ ° الْفَرَضَ ° لَا ° یُجِبُ ° أَنْ ° یُقَعَّ فِيهِ ° تَفْرِیطٌ ° فِیَجْبِرُهُ ° النَّدْبُ ° أَنْتَهَى ° . ° وَفِي ° قَوْلِهِ

: تحت طاقتهم ، نزعة الاعتزال . وعن ابن عباس : العدل لا إله إلا الله ، والإحسان أداء الفرائض . وعنه أيضاً أن العدل هو الحق . وعن سفيان بن عيينة : أنه أسوأ السريرة والعلانية في العمل . وذكر الماوردي أنه القضاء بالحق قال تعالى : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } وقال أبو سليمان : العدل في لسان العرب الانصاف . وقيل : خلع الأنداد . وقيل : العدل في الأفعال والإحسان في الأقوال . وإيتاء ذي القربى : هو صلة الرحم ، وهو مندرج تحت الإحسان ، لكنه نبه عليه اهتمامه به وحضاً على الإحسان إليه . والفحشاء : الزنا ، أو ما شنعته ظاهرة من المعاصي . وفاعلها أبدأً مستتر بها ، أو القبيح من فعل أو قول ، أو البخل ، أو موجب الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة ، أو مجاوزة حدود الله أقوال ، أولها لابن عباس . والمنكر : الشرك عن مقاتل ، أو ما وعد عليه بالنار عن ابن السائب ، أو مخالفة السريرة للعلانية عن ابن عيينة ، أو ما لا يوجب الحد في الدنيا لكن العذاب في الآخرة . أو ما تنكره العقول أقوال ، ويظهر أنه أعم من الفحشاء لاشتماله على المعاصي والرذائل والبغي : التناول بالظلم والسعاية فيه ، وهو داخل في المنكر ، ونبه عليه اهتماماً باجتنابه . وجمع في الأمور به والمنهى عنه بين ما يجب ويندب ، وما يحرم ويكره ، لاشتراك ذلك في قدر مشترك وهو الطلب في الأمر ، والترك في النهي . .

وقال أبو عبد الله الرازي : أمر بثلاثة ، ونهى عن ثلاثة . فالعدل التوسط بين الإفراط والتفريط ، وذلك في العقائد وأعمال الرعاة . فقال ابن عباس : العدل لا إله إلا الله ، وهو إثبات الإله الواحد ، فليس تعطيلاً محضاً ولا إثبات أكثر من إله . وإثبات كونه عالماً قادراً واجب الصفات فليس نفيًا للصفات ، ولا إثبات صفة حادثة متغيرة . وكون فعل العبد بواسطة قدرته تعالى ، والداعية التي جعلها فيه فليس جبراً محضاً ، ولا استقلالاً بالفعل . وكونه تعالى يخرج من النار من دخلها من أهل التوحيد ، فليس إرجاء ولا تخليداً بالمعصية . وأما أعمال الرعاة فالتكاليف اللازمة لهم ، فليس قولاً بأنه لا تكليف ، ولا قولاً بتعذيب النفس واجتناب ما يميل الطبع إليه من : أكل الطيب ، والتزوج ، ورمى نفسه من شاهق ، والقصاص ، أو الدية ، أو العفو ، فليس تشديداً في تعيين القصاص كشرية موسى عليه السلام ، ولا عفواً حتماً كشرية عيسى عليه السلام ، وتجنب الحائض في اجتناب وطئها فقط فليس اجتناباً مطلقاً كشرية موسى عليه السلام ، ولا حل وطئها حالة الحيض كشرية عيسى عليه السلام ، والاختتان فليس إبقاء للقلفة ولا قطعاً للآلة كما ذهب إليه المانوية . وقال تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّمَةً وَسَطًا } { وَالَّذِينَ إِذْ أَنْفَقُوا } ولا تجعل الآيتين . ومن المشهور قولهم بالعدل : قامت السموات والأرض ، ومعناه : إن مقادير العناصر لو لم تكن متعادلة ، وكان بعضها أزيد ، لغلب الأزيد وانقلبت الطبائع . فالشمس

